حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يوليو – سبتمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

" صورة المقدّس في رواية (ترانيم الغواية) ليلى الأطرش "

أ.د.أحمد عبدالرحمن الذنيبات*
وزارة التربية والتعليم
ahmedabedalruhman@yahoo.com

الحارث أحمد الذنيبات**
ماجستير في لغة عربية

تاريخ الاستلام: 2020/07/25
تاريخ قبول البحث: 2020/08/01
تاريخ النشر: 2023/09/30

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى استقرار صورة المقدس في رواية ترانيم الغواية ليلى الأطرش،جاءت في تميهد وثلاثة مباحث، يقدم التمهيد تعريفا بالمقدس والرواية؛ مبينا الدافع وراء اختيار هذه الرواية،ويتوقف عند البنية المفارقة فيها.أما المبحث الأول فيتناول المكان المقدس عند الديانات السماوية الثلاثة في القدس، ويدرس المبحث الثاني رؤية السلطة بشقيها السياسي والديني، ويختص المبحث الثالث في الرؤية الشعبيه للمقدس.

أفادة البحث من الدراسات السابقة؛ مثل كتاب يوسف شلحد: بنى المقدس قبل الإسلام وبعده،ودراسة ميرسيا إلياد المقدس والمدنس، وكذلك الإنسان والمقدس لروجيه كايوا،وأيضا المقدس الإسلامي لنور الدين زاهي... وغيرها من ما يظهر في متن البحث.ومن ثما الخاتمه حاملتا أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج النصي الإستقرائي في تناول هذه القضية .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

المقدمة

يسعى هذا البحث إلى دراسة المقدَّس من خلال استقراء إحدى الروايات الحديثة (ترانيم الغواية) للروائية ليلى الأطرش والصادرة عام 2014م عن منشورات الضفاف في بيروت.

ولما كانت قضية المقدّس أو التقديس ترتبط برؤية الشخص أو الفئة التي تعتقد ذلك؛ فقد جاءت الدراسة في هذه المقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث؛جاء التمهيد، تعريفاً بالمقدس وكذلك بالرواية متضمناً الدافع وراء اختيار هذه الرواية، متوقفاً عند بنية العنوان المفارقة،وعلاقة العنوان كعتبة للنص–النص الأول– بالنص الثاني المتمثل في متن الرواية.

ويتناول المبحث الأول المكان المقدّس عند أتباع الديانات السماوية لثلاثة في القدس، ويدرس المبحث الثاني رؤية السلطة بشقيها السياسي والديني للمقدس، ويقف المبحث الثالث عند الرؤية الشعبية للمقدس.

ويفيد البحث من الدراسات السابقة التي جاءت في ضربين، يتمثل الأول: في الدراسات التي تناولت المقدس من حيث المفهوم والتحقق، مثل كتاب بُنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده ليوسف شُلْحُدْ،والمقدس والمدنس لمرسيا إلياد ترجمة: عبد الهادي عباس، والإنسان والمقدس لروجيه كايوا ترجمة: سميرة ريشا، والمقدس الإسلاميلنورالدين الزاهي، والغيب في المعركة والتغيير الكوني لأسعد بيوض التميمي، وثمة مجموعة أبحاث مثل: المفهوم الوجودي للمقدس والمدنس في الإسلام لعبد الناصر، ومفهوم المقدس والمدنس عند ميرسيا إلياد للباحث نفسه، ومفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية للحاج القدميري، وفي العلاقة بين المقدس والمدنس لأحمد محمد زغب.

أما الضرب الثاني من الدراسات السابقة فيتمثل في تلك الدراسات التي تناولت الرواية قيد الدراسة منها بحث بعنوان الملامح الشعرية في رواية ترانيم الغواية لأسماء الزريقات، ومقالة لأحمد أبو مطر بعنوان ليلى الأطرش في ترانيم الغواية، وعن رواية ترانيم الغواية لمنى الشرافي تَيَّم، وترانيم الغواية رواية المسكوت عنه في تاريخ القدس لسارة القضاة، وترانيم الغواية رواية البشر والحجر لسميرة عوض.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج النصي الاستقرائي في تناول هذه القضية، وتأتي الخاتمة لتحمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ومن ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة.

التمهيد:

يبدو أن مثل هذه الدراسة الشائكة؛ تحتاج إلى درجة عالية من الدقة، والفطنة، في الوقت ذاته، لذا توجب على الدارس التوقف عند مصطلح (المُقَدَّس) حيث تكمن الخطورة – في المفهوم – ومن ثم مسوِّغ إطلاق هذا المصطلح أو الاسم على تلك المسميات، وما يكتنفه من ضدية في الدراسات الحديثة على وجه الخصوص، وأقصد

المُدّنس، ومدى حضوره في المسميات كلها؟ أم أنه يتبلور مع الدخول في الآيديولوجيات والمعتقدات الخاصة بكل فئة أو ملّة؟...هذا ما تُجلّيه مباحث الدراسة.

تعريف المقدس: تشير المعاجم إلى عدد من الدلالات؛ فقد جاء في لسان العرب؛ المقدس: المبارك، والأرض المقدسة: المطهرة، الطاهرة وهي في دمشق وفلسطين وبعض الأردن، ويقال مقدسة أي مباركة، والقدس: البركة، والتقديس: التطهير والتبريك، وتَقَدّس أي تطهَّر، وفي التنزيل (ونحن نسبح بحمدك ونقدِّس لك) البقرة30 ، الزَّجَّاج: معنى نقدس لك، أي نطهّر أنفسنا لك، وبيت المقدس أي البيت المطهَّر، أي المكان الذي يُتطهّر به من الذنوب[1] وقدس الأقداس –عند اليهود– المكان الأكثر قدسيّة في مُتَعَبَّدهم وهو قبة الهيكل [2].

ويمكن القول: إن المقدس لا يكون بذاته، أو أن القداسة نشأت بسبب المادة المتشكلة منها، وإنما قوة عليا وخفية تمنحه المكانة في نفوس المعتقدين بقداسته، ولذا نجد التعريفات المباشرة أخذت صيغة اسم المفعول؛ مُبارك، مُطهَّر، وهي تفضي إلى صيغة المبني للمجهول؛ بُورك، طُهِّرَ، أو غير معلوم الفاعل، لعلو شأنه وقداسته، فالقدّوس أحد أسماء الله تعالى على فعّول وهو الطهارة[3] فهذه السمة التي تحلُّ في المسميات من الله الخالق الواهب للبركة والطهارة والقداسة.

أما في التعريف الاصطلاحي، فقد صَعُب على الباحثين ضبطه أو تحديده بصورة دقيقة، ولعل سبب ذلك عائدٌ إلى غموض المصطلح –المقدّس– نفسه، فـ"لا شيء أكثر غموضاً من القدسِّي، ففي الغالب استعملت الكلمة لدى كاتب واحد في سياق واحد بمعنيين، وحتى بعدة معان مختلفة" [4]

وربما دفع هذا الغموض بـ(روجيه كايوا) إلى تقديم تعريفٍ مواربٍ بعض الشيء، يقارب فيه وصف حالة مُعاشة، يقول: "الحقيقة أن الصفة الوحيدة التي يصح إثباتها للمقدّس بشكل عام متضمنة في تعريف هذه اللفظة بالذات ألا وهي تعارضه مع الدنيوي" [5] ثم يذهب إلى توضيح هذا التعارض... ويشير إلى عجزه عن الخوض في دراسة بنية المقدس، والتي يشير إلى استحالة احتوائها ..[6] أما مرسيا إلياد، فلا يستقر على تعريف محدد ويشير إلى رودولف أوتو في كتابه (داز هيليج) 1917م،بقوله "فاكتشف عاطفة الرعب اتجاه المقدس، واتجاه هذا الغامض المخيف" [7] وكذلك يأتي تعريفه مشاكلاً للوصف بأنه "يبدو كشيء مخالف تماماً للدنيوي... ويصفه بمصطلح التجلي" [8]

وقد جاءت لفظة دنيوي في التعريفين السابقين للتعبير عن المدنس، وهذا ما يرد مباشرة عند (إميل دوركهايم) في تعريفه للمقدس، فهو "كل ما تقوم النواهي الدينية بحمايته وعزله، أما الأشياء المدنسة، فهي التي تنطبق عليها هذه النواهي، والتي يجب أن تبقى بعيدة عن الأشياء الأولى" [9] فثمة عداء درجة القطيعة بين المقدس والمدنس.

ويرى عبد الناصر محسن، وجود نوعين من القداسة؛ قداسة مطلقة وقداسة نسبية فالمطلقة هي التي تتحقق القداسة فيها لذاتها ومتمثلة بقداسة الله عز وجل (القدوس) أما النسبية فهي قداسة الكائنات القائمة على وجود الخالق المقدس [10] ويشير الزاهي إلى المقدس الإسلامي بأنه يحيل إلى الطهارة، والقداسة (الذوات الطاهرة من جهة، وعلى الدنيوي... من جهة أخرى [11] وكذلك يشير إلى "انتهاك الحجب والقواعد الأخلاقية، التشريعية واللغوية...[12]

وثمة ما يعيق الوصول إلى تعريفِ المقدس تعريفاً دقيقاً أو حَدِهِبتأطير محدد مع الإقرار بقضية الغموض – وهو تعدد المقدسات وكثرتها، حيث الاختلاف بين المقدس في الأديان السماوية مع المقدس في الأديان الوضعية وتعددها [13]

ويبدو للباحث أن فكرة التقديس شكلت توأمة لطفولة الإنسان أقصد القوميات والشعوب في بداياتها، في مراحل بحثه في الأسباب والنتائج في سبيل الوصول إلى التملك والتمكن،وأولى هذه الأهداف يتمثل في الحفاظ على الذات، وحماية النفس في وجه التهديد والتحدي، المتمثل في الزوال والتلاشي عوامله وأسبابه، ومن ثم النظر للمحافظة على الممتلكات وسبل زيادتها، وكل ذلك يتمثل بدايةً في ثنائية الحياة والموت، أو الوجود للذات والأشياء مقابل الزوال والتلاشي.

وهذا التشكيل لا يبتعد كثيراً، إن لم يكن في نقطة تبئير نظرية المعرفة مقابل الجهل، وإذا ما قمنا بتخطي مفهوم المقدس لدى أتباع الديانات السماوية، فإن نظرية التقديس عند باقي الملل من البشر تذهب في تأييد ما ذهبنا إليه؛ فعبادة الحجر أو الشجر عند الأمم السالفة ليست أقل هيمنة من عبادة البقر وتقديسها عند بعض الأمم في عصرنا هذا، وربما وُجِد لدى كل أمة من المسوغات ما يدفعها إلى التمسك بمعتقدها أو ما تقدسه، ولعله في معظمها يعود إلى خرافات أو أساطير متوارثة عبر الأجيال الضاربة في القدم.

التعريف برواية ترانيم الغواية

تعمد الدراسة إلى رواية (ترانيم الغواية) التي صدرت حديثاً عام 2014م عن منشورات الضفاف الأدبية لليلى الأطرش، وقد امتدت الرواية على مساحة مائتين وأربع وتسعين صفحة ، وللوهلة الأولى يبدو أن العنونة بعيدة عن المصطلح قيد الدرس؛ وأقصد المقدّس، إلا أن الولوج في المتن الروائي يغاير الانطباع الأول، إذ تتحدث بدرجة من التفصيل عن تاريخ مدينة القدس، منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى ما بعد النكبة الفلسطينية، ومن خلال معكوفتي الزمان والمكان، قدمت الكاتبة الأحداث الرئيسة، وتلك الفرعية والمتشعبة عنها، ولا شك في أن الحدث يتعالق مع الإنسان والبيئة بما فيها من مكونات وعناصر، وقد اعتمدت الكاتبة تعدد الأساليب في تقديم هذه الأحداث بين الحوار والسرد والوصف، فتعددت الأصوات، على أن الراوي كلي العلم؛ أو زاوية الرؤية من

الخلف، كانت هي المسيطرة على السرد، مما أتاح للكاتبة سُبُلَإطلاع المتلقي على تشكل الأحداث؛بل ما كان يدور في خلد الشخوص في الرواية.

أهمية الرواية والدافع وراء اختيارها للدراسة:

تكمن أهمية الرواية وسبب اختيارها لهذه الدراسة في جوانب عدة، ولعل أولاها المكان، فأحداث الرواية تدور في مدينة القدس، ولم يكن الاختيار لهذا المكان في الرواية محض مصادفة أو أنها مجرد مدينة يتشكل فيها الحدث الروائي، بل أظهرت ما امتاز به المكان؛ القدس "...الحروب على بلادنا لم تتوقف بُحجةِ أنها مقدسة.. بين الأتراك والفِرنجة، والأتراك والعرب، والعرب واليهود، وقيس ويمن، وعائلات القدس ببعضها، وروم وأرمن، ومسلمين مع مسلمين، ونصارى مع نصارى، ومسلمين مع نصارى.."[14]

فيبدو أن المكان مُشاركٌ في الأحداث، إن لم يكن هو الأصل فيها، ويتمثل سبب الفاعلية في أنها مدينة مقدسة منذ السطر الأول "..مصلوب بحيرته ذاك المولود في مدينة منذوره لله.. ظاهرها قدسي.. معلق على الحد بين طهارة الحجر ونوازع البشر"(الرواية ص7)

وقد أخذ المكان قداسته من اجتماع الديانات السماوية الثلاثة فيه، ولكل أتباع ديانة مقدساتهم الخاصة "... لكن القدس مقدسة وصغيرة... مدينة محكومة بالأديان"(الروايةص138) والحديث عن المكان يطول ...وسيأتي في حينه.

ومن العوامل التي دفعتنا لاختيار الرواية –إضافة لما تضمنته في قضية القدس، الذي شكل العنصر الرئيس فيها – هو الأسلوب والتقنيات الفنية التي انتهجتها الكاتبة في تشكيل الرواية، فهي وإن كانت تبدو رواية تاريخية، تسرد الأحداث عبر وقعها الزمني، إلا أنها استطاعت تجاوز ذلك، إلى ما يقارب الدراسة الأنثربولوجية في دراسة الإنسان في القدس فلم تأتِ بأحداث تلفها الأكفان وغبار السنين، ولا كما اعتدنا أسلوب السيرة الذاتية أوالغيرية، وإنما جاءت الأحداث حية لا تقرؤها العين العابرة، وإنما استطاعت مزج المتلقي كيماوياً في أحداث معاشة، في حين غابت الكاتبة كراوية، إذ لا يُلحظ فرض الفكر أو الرأي على إيقاع الحدث، بشكل أدق؛ جعلت المتلقي يرافق الكاميرا (آلة التصوير) في تتبعها للأحداث في الزوايا والمخفي والسري، فشاهدنا الحوارات القائمة بين الشخوص، وسمعناهم في تفكرهم بصوت مرتفع في المنولوجات الداخلية، وقرأنا معهم المذكرات الشخصية والوثائق السرية خلف الأبواب المغلقة، ويمكن القول بأن اعتمادها الراوي كليّ العلم، إضافة للتقنيات سالفة الذكر؛ مكننا من معايشة الحدث في رؤى وتطلعات وأحلام الشخوص وهي في معظمها تعالج المقدس والمدنس في مستوياته المختلفة.

بنية العنونة المفارقة

يشكل العنوان في النص الأدبي العتبة الأولى التي تفضي إلى تعامل المتلقي مع المتن، فهو "إشارة سيميائية تأسيسية، قد يدفعك إلى أن تعيد قراءة شيء كان مألوفاً لديك، بل هو جزء من ثقافتك، ولكنه قد يغريك بإعادة القراءة، لأنه يفجر فيك طاقات متجددة، وكأنه مع العنوان يبدأ فعل القراءة ومن ثم فعل التأويل" [15] وكما يصفه رولان بارت:إنه "يفتح شهية المتلقي للقراءة" [16] وكلما أجاد المبدع حياكة العنونة، زاد أفق الانتظار عند المتلقي، وشد وتر التوقعات، ولعلنا نجد هذه السمات في عنونة الرواية (ترانيم الغواية) فثمة بنية مفارقة في تشكيل العنوان، فقد جاء جملة اسمية حذف منها المبتدأ، وقد يسهل تقديره باسم الإشارة (هذه) ولكن خطورة البنية تبدو في العنوان الظاهر (الخبر) حيث أضافت (ترانيم) وهي جمع نكرة تحمل دلالة إيجابية تعني تطريب الصوت وقد تشي بدلالة دينية عند المسلمين في تلاوة القرآن الكريم لما ورد في الحديث "ما أذِنَ الله لشيء أذَنَهُ لنبي حَسَنَ التَّرنيم بالقرآن، وفي رواية حسن الصوت يترنّم بالقرآن" [17]، وهي جزء أساسي من احتفالات عيد الميلاد المجيد في مختلف الكنائس المسيحية، وهذه الصورة –جمع النكرة– تفيد الكثرة ولكن المفارقة تكمن في الانزياح الكبير عند إضافتها إلى مفردة مُعرَّفة يفيد الحصر والثبات (الغواية) والتي تحمل دلالة الضلال والتيه، فعند إعادة صورة العنوان (ترانيم الغواية) يتسع أفق التوقعات ويمكن القول ضمن ما يقال في دلالة هذه البنية هو جنوح المقدس إلى المدنس أو العكس بمعنى ابتلاع المدنس للمقدس.

وعند البحث عن مجسات العنونة في النص –المتن– نجد التمثل الكلي لهذه العنونة في النص فالتأطير العام للرواية قائم على القداسة والدناسة، تصف الكاتبة روايتها بقولها هي "هي قصة الحب المحرم... إطارها العام هو التبدلات التي حكمت القصة وتسببت فيها" [18] فالحب بابه الخير، ولكن وصفه بالمحرم يحدث ارتجاجاً في التلقي ثم التأويل وكذلك القَصَص القصيرة داخل التأطير جاءت في تسعة وعشرين عنواناً، بنيت على ثنائية الخير والشر أو المقدس والمدنس، منها على سبيل المثال قصة الخوري متري الحداد"الذي يعيش علناً أنغام ترانيم تراتيل الكنيسة أيام الأحد ويمارس غواية القلب والعاطفة سراً مع العمة ميلادة أبو نجمة" [19] وقد صورت الكاتبةهذه المفارقة بدقة في قولها "تسكن الشياطين مع الملائكة في صوامع النساك، تنتهك مغارات تَعَبُّدِهم... تشن حرب إغواء لا تتوقف... ترانيم تسكب الخير وأخرى تزين الشر، وأسلحتها شك يقود إلى المعصية...(الروايةص167)

تورد الكاتبة هذا النص على لسان الخوري متري الحداد، وبهذه العبارة تلغي مقولة (دوركهايم) حول استحالة اجتماع المقدس والدنيوي أو المقدس والمدنس[20] وكثيرة هي الوقائع على هذه الشاكلة، في وصفها للقدس على لسان الخوري قوله "القدس أضاعتنا لأنها تشبهنا، مدينة مثلنا بوجهين... دروبها العتيقة تصل باب الخلاص.. تنشد الغفران في الكنائس، وأديرة ومعابد وزوايا، ومساجد وكنيس وتكايا.. وتفتح أبواب سورها على ملذات تقود إلى الضلال" (الروايةص157)

1- المبحث الأول المكان المقدس:

يلتقي التأطير العام للمكان في الرواية مع الانسياح للمقدسات بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الثلاثة داخل أسوار مدينة القدس القديمة مع بعض الخروجات، تتعلق في بعض المواقع المقدسة على وجه الخصوص لأتباع الديانة المسيحية.

وليس أدل على ما ذهبت إليه الدراسة من المسميات التي أُطلقت على هذه المدينة، والتي تشير بصورة ما إلى قداستها، ولعل أول هذه التسميات في عدد تكرارها يتمثل في لفظة (القدس) الاسم الذي عرفت به المدينة فقد زاد تكراره على مائة مرة [21] ويبدو أن هذه الظاهرة –أقصد التكرار المَهُول لاسم القدس– لها ما يُسَوِّغها؛ إذ تدور الأحداث في هذه المدينة، واشتهرت بهذا الاسم دون غيره، ولكن ما يتوجب علينا استحضاره هو تشاكل الاسم مع لفظ المقدس بل لا ينازعنا الشك في أن هذا الاسم اشتقّ من المكانة القدسية لها، يعاضد ذلك الأسماء ذات الإشارة المباشرة لفكرة التقديس أو نسبتها له، فهي مدينة منذورة لله منذ كانت (الرواية ص293) ظاهرها قدسي، وباطنها إنسي.. معلق على الحدبين طهارة الحجر ونوازع البشر (الرواية ص7) وهي مدينة الأديان وهي قدس الأديان (الرواية ص21/13) وسميت بالأرض المقدسة ثلاث مرات (الرواية ص171/102/17) وبالبلاد المقدسة أربع مرات (الرواية ص170/91/88/87) وكذلك بالديار المقدسة (الرواية ص166) وقدس الأديان (الرواية 132/ 242) ووردت سبع مرات باسم بيت المقدس (الرواية ص275/259/215/79/78/18/17) وأضيفت إلى لفظ الجلالة، منسوبة إليه في أربع مرات (الرواية ص181/175/79/18) وكذلك نسبت إلى ما يعبر عن العلو الإلهي المتمثل في نسبتها إلى السماء (الرواية ص108/80/20)

وقد سميت مباشرة بالقداسة، تارة مُنكَّرة مدينة مقدسة (الرواية ص259) وأخرى مُعَرَّفة المدينة المقدسة (الرواية ص275).

وثمة اسم آخر سميت به المدينة بإضافتها إلى الملك العظيم، فعرفت بمدينة الملك العظيم (الرواية ص7) وقد اتخذت منه الكاتبة عنونة أولى بعد العنوان الرئيس الذي عرفت به الرواية، والظاهر في هذه العنونة، أن المدينة تنسب إلى ملك حكم هذه المدينة في الأزمنة الغابرة، وأن لا علاقة له بموضوعة القداسة، ولكن البحث في تسمية المدينة بهذا الاسم، يكشف تلك العلاقة التي تربط هذا الاسم بالمقدس، كما أن ورود الاسم في موقع آخر من الرواية بصورة تأتي أكثر وضوحاً (مدينة الملك العظيم أورشليم) (الروايةص17) يعود بنا إلى عهد سام بن نوح الذي اختط المدينة وبناها وكان ملاكاً عليها وكان يلقب بـــ(مليكي صادق) ومعناها في العبرانية (ملك الصدق) وكنّوه بأبي الملوك، وأقام بها حتى موته، وسميت المدينة بـــ(روشلم) وهي في العبرانية بيت السلام [22].

وتأسيساً على ما سبق، فإن المكان الذي شغلته الرواية – مدينة القدس – قد استمد قداسته بتعالقه مع الديانات السماوية الثلاثة، وأن ثمة أحداثاً ارتبطت بكل ديانة من جانب وتشاكلت مع هذه المدينة من جانب آخر، ويمكن التنبه هنا إلى أن "المقدس.. لا يمتلك تلك القداسة إلا لمكانةٍ معينة عند الله – عز وجل – ترتبط بالعلاقة بين الخالق والمخلوقات، والأمر الذي يجعل المقدس النسبي ليس معبوداً في هذه الحالة" [23] فالمقدس النسبي يقابل المقدس المطلق المتمثل في الذات الإلهية، التي تكون العبادة تقرباً لها، أما المقدس النسبي مثل المكان، فهو الحيز الذي تقام فيه العبادة، وليس معبوداً وليس مقدساً لذاته.

وبهذا يمكن التوجه إلى دراسة المكان المقدس في الرواية عند أتباع الديانات السماوية:

1.1 المكان المقدس عند المسلمين:

لا بدّ من الإشارة إلى أن ما تتناوله الدراسة من مكان مقدس ينحصر في إطار الرواية، وليس الأماكن المقدسة كافة، ومن وجهة أخرى تجدر الإشارة إلى أمر آخر في الرواية وهو كثرة إشارات الدراسة إلى الألفاظ الدالة على قداسة القدس، إلا أن هذا الأمر يشير إلى المدينة بشكل عام، أما عند التخصيص فإننا نجد إشارات نادرة إلى المقدس الإسلامي، ويكاد يتوقف على المسجد الأقصى الذي تكرر فقط ست مرات (الروايةص199/139/114/110/43*2)ولكن إحدى هذه الإشارات على درجة كبيرة من الأهمية، حيث تظهر مكانة الأقصى عند المسلمين وأن منهم من لديه الاستعداد للتضحية بروحه في سبيلها، وتأتي هذه الإشارة ضمن كتاب يوجهه أحد كبار العرب للقائد الإنجليزي، يحذره من مغبة المبادرة في شن معركة ضد جيش الإنقاذ العربي، يقول "...والقيادة العربية تتوقع عصيان بعض الضباط والجنود، ممن يؤمنون بالشهادة من أجل الأقصى، وربما رفض هؤلاء أوامر الانسحاب..." (الروايةص111/110)وهذه التضحية تنم عن درجة القداسة التي يتمتع بها الأقصى في نفوس المسلمين، وكذا يطلق عليه بيت المقدس، فهو مرتكز القدس، ويتكرر هذا الاسم في الرواية سبع مرات (الروايةص257/259/215/79/78/18/17) ويشار إلى أنه سمي بيت المقدس"لأنه المكان الذي يتطهر فيه أولياء الله من الذنوب والمعاصي، أو إلى أنه المكان الخالي من الشرك والأصنام، ولذلك كانت الملائكة تؤمه وتطوف به، وكان الأنبياء– عليهم السلام – يعبدون الله فيه ويقربون القرابين" [24] كما أنه"مهبط الملائكة ومبعث الأنبياء، ومزارهم ومدافنهم، وفيه نزل الوحي السماوي على كثير من الأنبياء كداود وسليمان وعيسى – عليهم السلام –الذين هاجروا إلى تلك الأرض المباركة" [25] وقد ينظر إلى قداسته من غير المسلمين فالإمبراطور الألماني"ملأ رئتيه بهواء بيت المقدس.. أجال بصره في التاريخ حوله ورأى مدينة الله لأول مرة" (الروايةص18)

ولعل من أهم ما يميز المقدس الإسلامي هو "تداخله الكبير مع الديني، وفي التصاقه بالإلهي (الطاهر) والذي لا يجعله متماهياً معه" [26] ونجد في القرآن الكريم ما ذهب إليه الزاهي، حيث نجد الرابط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في رحلة الإسراء والمعراج في قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام

إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" [27] وفي هذه الآية أمران؛ الأول ما أشرنا إليه من الربط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام الذي "زاد من قدسيته أنه يتصل بالكعبة التي تعد من أقدم الأماكن المقدسة في العالم" [28] والأمر الثاني هو الإشارة إلى حلول البركة فيما حول المسجد الأقصى، وكأن البركة حلت في المكان بسبب وجود الأقصى فيه، وكذلك ما أشارت إليه الأحاديث النبوية الشريفة "... ثم انطلقنا حتى أتينا إلى البيت المقدس فصليت بالنبيين والمرسلين إماماً، ثم عُرج بي إلى السماء" [29] وإضافة إلى تكريم النبي– صلى الله عليه وسلم– بإمامة الرسل والأنبياء وأن هذه الحادثة وقعت في المسجد الأقصى، كذلك أن المسجد الأقصى شكّل نقطة اتصال مع السماء، حيث عَرَج منه عليه السلام.

وفي حديث آخر للرسول صلى الله عليه وسلم يحدد فيه المساجد التي يُرْتَحَلُ إليها، في قوله عليه السلام فيما يرويه أبو سعيد الخدري:"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" متفق عليه، ويفيد شرح الحديث بأنه عدم حرمة السفر (شد الرحال) وإنما قصد عدم الرحيل للتعبد أو التقرب إلى الله إلا في هذه المساجد، فالصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة في غيره من المساجد[30].

- قبة الصخرة: وهي لصيقة بالمسجد الأقصى، تشير الكاتبة في (ترانيم الغواية) إلى القبة بقولها "وعلى طول الطريق إلى مدينة لا أستطيع دخولها... وحتى التِمَاع تَذَهُّبِ قبة الصخرة"(الروايةص13) ويرى القدميري أن هذه القبة قد زادت في قدسية المسجد الأقصى ويفسر ذلك بقوله: "وزاد من قدسية هذا المسجد الصخرة المشرفة فهي كالحجر الأسود في البيت الحرام، فهي مقدسة مشرفة، ومصدر قدسيتها أن الملائكة يصعدون منها إلى السماء، وهي المكان الذي صعد منه النبي– عليه السلام– في ليلة الإسراء والمعراج إلى السماوات العلا، وهي المكان الذي يُنادى منه الناس يوم القيامة، لقربها من السماء" [31]

2.1 المكان المقدس عند المسيحيين:

لا شك أنَّ كثيراً من الأسماء التي أطلقت على مدينة القدس – والتي أشارت إليها الدراسة في بداية البحث – قد صدرت عن المسحيين؛ وعلى وجه الخصوص أن كاتبة هذه الرواية هي من أتباع الديانة المسيحيةـــــ كالبلاد المقدسة، والأرض المقدسة، ومدينة الأديان، ومدينة الله، وكذلك الوصف بأنها مدينة منذورة لله، وربما وجدنا مبتدأ لهذا الوصف في نَذْرِ أم مريم بنت عمران لما في بطنها خالصة لله [32] كما نلحظ أن المساحة الأكبر من الرواية يحتلها الحديث عن المسيحية وطوائفها، وطائفة الأرثذوكس على وجه التحديد.

كنيسة القيامة: أو كنيسة القبر المقدس، وهي داخل أسوار البلدة القديمة في القدس، بُنِيت الكنيسة فوق جلجثة، وهي مكان الصخرة التي يعتقد أن يسوع صُلِب عليها وتعد أقدس الكنائس المسيحية والأكثر أهمية في العالم المسيحي، وتحتوي الكنيسة وفق المعتقدات المسيحية على المكان الذي دفن فيه يسوع واسمه القبر المقدس،

وسميت كنيسة القيامة بهذا الاسم نسبة إلى قيامة يسوع بين الأموات في اليوم الثالث من الأحداث التي أدت إلى موته على الصليب [33].

وتشير الكاتبة إلى زيارة الإمبراطور الألماني إلى كنيسة القيامة، وكلمة بطريرك الأرثذوكس أمام الإمبراطور، وما يدفع من رسوم حجاج الكنيسة لعائلتين مسلمتين لاحتفاظهما بمفاتيحها(الروايةص20/19)وفي موقع آخر تشير إلى رسالة البطريرك الأرثذوكسي السماح له بترميم واجهة كنيسة القيامة المتصدعة إثر الزلزال الكبير، على نفقته الخاصة دون أن يؤثر ذلك في حصص الطوائف (الروايةص110/109) ويبدو أن ثمة محاصصة للطوائف المسيحية المختلفة في كنيسة القيامة، حيث يوجد لكل طائفة كنيسة خاصة بها؛ إلا أنها تحرص جميعاً على حصتها في الكنيسة الرئيسة أو الأم (كنيسة القيامة).

ويظهر من رسالة البطريرك السابقة مدى الاهتمام بهذه الكنيسة، وأن ما حلَّ بها بعد الزلزال يقلل "هيبة الكنيسة ويظهر بيت الله متداعياً يحتاج من يسنده" (الروايةص110) كما تشير الرواية إلى ما يتوجب على الكنائس الأخرى اتجاه كنيسة القيامة، وما تقدمه من هدايا لها (الروايةص109).

فهي بيت العبادة الأول للمسيحيين، تصفها الكاتبة على لسان العمة ميلادة بقولها: "وفيها كنيسة نصف الدينا، أقرب نقطة إلى السماء" (الروايةص115/79–80) ومن كنيسة القيامة ينطلق المسيحيون في العيد الكبير يحملون البيارق لحارة النصارى للباب الجديد (الروايةص123).

- كنائس الطوائف في القدس

تعددت الكنائس في القدس بتعدد الطوائف، مثل كنائس المسكوب؛ نسبة إلى موسكو الروسية (الرواية ص170/109/33/32/11) وكذلك بطريركية الأرمن (الرواية ص220) ودرج كنيسة العذراء (الرواية ص223/222) والبطريركية الأرثوذكسية (الرواية ص55/39/14) وكنيسة الجَثْسِيماني (الرواية ص42)وبَنَى الإنجيليون كاتدرائية سانت جورج (الرواية ص172) والكنائس متعددة تزيد على سبعين كنيسة أما أهم كنائس الطوائف فتذكرها الكاتبة على لسان الخوري متري الحدّاد "... والأرثذوكس، كلمة يونانية، معانيها (الرأي الحق أو الصواب أو المستقيم) وكنيستنا هي أول الكنائس في العالم، وأم الطوائف جميعاً.." (الرواية ص172).

ولعل من أهم الأماكن قداسة في الكنيسة ما يسمى (المذبح) وهو مكان في صدر الكنيسة مخصص للكهنة أثناء الصلاة يواجه المصلين كما المنبر في المساجد (الروايةص146)وإذا كانت الكنيسة تمثل العالم الخاص، فإن المذبح هو الفردوس [34].

- كنيسة البشارة: وهي الكنيسة التي بّشَّر فيها المَلَكُ زكريا بولده يُوَحَنَّا المَعْمَدان بعد أن شاخ مع زوجته، وهي في بلدة عين كارم (الروايةص128) المتاخمة للقدس، ولا يشك المسيحي بقدسية عين كارم.. "صحيح عين

كارم مقدسة، وستنا مريم شربت من نبعها.." (الروايةص128) كما يطلق على هذه الكنيسة اسم كنيسة الزيارة، إذ بنيت على "شرف زيارة مريم أم اليسوع لإليصات أم يُوحَنَّا المَعْمَدان، وكذا معروف عند المسيحين بأنه المكان الذي كانت ترتل فيه مريم ترنيمة الصلاة وهي ترنيمة التمجيد واحدة من أقدم ترانيم مريم" [35].

1.3 المكان المقدس عند اليهود

يبدأ الحديث في علاقة اليهود بالمكان المقدس منذ بداية الرواية ومدينة الملك العظيم في الصفحة الأولى، ثم الاسم الكامل للمدينة "تهطل روايات التاريخ في مدينة الملك العظيم أورشليم" (الروايةص17) وقد سبقت الإشارة إلى ارتباط هذا الاسم بـــ(سام بن نوح) عليه السلام، ثم ما تعنيه لفظة (أورشليم) في العبرية، ويشير مرسيا إلياد إلى تأسيس هذه المدينة بقوله "إن أورشليم خُلِقت من قِبَلِ الإله في ذات الوقت الذي خلقت فيه الجنة، إذن فهي أزلية، ومدينة أورشليم ليست سوى إعادة انتاج تقريبيللنموذج المتصاعد..." [36].

وربما كان حائط البراق هو المكان المقدس الأول بالنسبة لليهود، يسمونه حائط المبكى؛ إذ "يعتقد اليهود أنه جزء من السور الخارجي الذي بناه (هيرود) حول الهيكل الثاني، بعد خراب الهيكل الأول، ويعد أقدس الأماكن الدينية على الإطلاق، حيث يحج إليه اليهود من جميع أنحاء العالم، وقد سمي بحائط المبكى لأن الصلوات عنده تأخذ شكل عويل ونواح، ويعتقد اليهود أن (الحضرة الإلهية) (الشخيناه) لا تغادر الحائط أبداً" [37]وقد تكرر ذكر هذا الحائط في الرواية وطقوس العبادة اليهودية وهم يدقون رؤوسهم بالحائط، وتطلق عليه الكاتبة اسم حائط البراق، كما هو في الرؤية الإسلامية(الروايةص227/44/43) .

ولا تقف رؤية اليهود للمقدس عند حائط البراق، بل تتعدى ذلك إلى المسجد الأقصى برمته؛ إذ يعتقدون بأن هيكل سليمان مدفون تحته، وقد تجلت هذه الرؤية في ذلك (الكهربجي) اليهودي الذي لم يكن غيره يعرف في شؤون الكهرباء عند بداية وصولها للقدس، فعندما يأتي به المسلمون لإصلاحعطل كهربائي في المسجد الأقصى، كان يقف عند حافة الحرم ويرفض الدخول مشياً على قدميه، فيحمله المسلمون ويسخرون منه، ويبقى على أكتافهم حتى ينهي العمل ثم يقذفونه للخارج وعند ملامسة أرض الحرم يصيح ويولول ويستغفر ويتوسل أن يرفعه الرجال حتى لا يمشي على العشر ورقات، ويعني الوصايا العشر ! في التوراة أن الله أعطاها لموسى فنقشها على لوحين من حجر في طور سيناء، ثم حفظت في تابوت العهد في قدس الأقداس من هيكل سليمان. وضاعا معاً ولم يعثر عليهما أبداً، ويعتقد اليهود أنها طمرت مع الهيكل وأنها تحت الأقصى" (الروايةص228/227).

ويرى إلياد أن "صخرة المعبد المقدس كانت تمتد بعمق في التيهوم المعادل العبري لآبسو. كذلك الأمر وكما كان هناك في بابل (باب آبسو) كانت صخرة المعبد" [38]، ويرى أن فلسطين برمتها ومدينة أورشليم ومعبد أورشليم تمثل صورة كونية، وأن المعبد يمثل الأرض، في حين يمثل قدس الأقداس السماء، وأن كلاً من فلسطين والمدينة والمعبد تمثل في آن واحد صورة الكون ومركز العالم، ويرى أن نظرية ميلاد العالم وتطوره يكون أكثر وضوحاً

في الرؤية اليهودية، فقدس الأقداس خلق العالم كجنين وهو كالجنين ينمو من السرة، وأورشليم هي سرة العالم في التقليد (اليهودي – المسيحي) ولأن المركز هو المكان الذي يحدث فيه الانقطاع، حيث يصبح الحيز مقدساً، وحقيقياً بامتياز" [39].

والمعبد اليهودي (بيت هاكنيست) بالعبرية، هو المكان الذي يجتمع فيه اليهود للعبادة، وبعد تخريب الهيكل، أصبح المعبد هو المركز الروحي والاجتماعي للأقليات اليهودية في العالم، ولعل من أهم محتويات المعبد – تابوت الشريعة الذي يحتوي على الوصايا العشر، ويوجه هذا التابوت نحو مدينة القدس، ويشعل أمامه النور الأولي رمز الشمعدان [40] وتسمى هذه المعابد الإصلاحية هيكلاً، نسبة إلى الهيكل اليهودي في القدس، ولكن المعابد في فلسطين المحتلة كثرت، فلكل أقلية يهودية هاجرت إلى فلسطين معبدها الخاص، وجميع الأقليات تعود إلى الهيكل، وحائط المبكى (البراق) [41].

أما (القاديش) فهي كلمة آرامية تعني المقدس، وهي من أشهر التسابيح الدينية اليهودية، وأصلها قديم وهي كلمات تمجيد باسم الله وملكه والخضوع لحكمه ومشيئته والتعبير عن الأمل في سرعة مجيء المسيح، وهي تتلى بعد الصلاة أو قراءة التوراة [42] أما قدس الأقداس فهو أقدس الأماكن في الهيكل، وهو حجر بدون نوافذ تقام على مستوى أعلى من بقية الهيكل وتحتوي على التابوت [43] وقد يتخذ اليهود من بيوت أو قبور من يعتقدون أنهم ضحّوا من أجل قيام دولتهم مزاراً كبيت (ألجيرا) في عين كارم (الروايةص198).

2. رؤية السلطة للمقدس

إن المسافة المتاحة في هذا المبحث من الدراسة، لا توفر إمكانية قراءة السلطة من حيث الماهية والتشكيل، إذ تتعدد أنماط السلطة العليا في الدول المختلفة أو المجتمعات المتباينة، لأنّها تعود إلى فلسفة تشكل السلطة واعتمادها، ومن ثم فإنها "في حالة سيولة دائمة يصعب حصرها في آليات ومعايير محددة" [44].

ويمكن النظر إلى السلطة على أنها نقطة التمركز والتحكم في المجتمع بشكل عام سواء كانت نابعة من الشعب أو التسلط بطرائقه المختلفة.

ولما كانت الدراسة تعنى بالمقدس في الرواية قيد الدراسة؛ فإنها تتجه إلى نوعين من السلطة، كان لهما أثر مباشر في التعامل مع المقدس، والمقدس هنا – بالذات– يتماهى مع العناصر أو المرتكزات الدينية، فكلُّ ما يتعالق مع المقدس الأول أو المطلق الله – فهو ينضوي تحت المقدس، فقد "تؤدي أشياء دنيوية بسيطة مثل شرب الماء، وظيفة إرواء العطش وفي نفس الوقت وظيفة قدسية يُؤثر عليها شكر الله وحمده" [45] إنما أرادت الدراسة من هذا المثال هو استقراء موقف السلطة من كل رمز قداسي جاء في الرواية.

تمثلت السلطة في نمطين؛ السلطة السياسية والمتمثلة في الحكم التركي – وقصدنا هذه التسمية دون القول بالحكم العثماني لأن الرواية تأتي ضمن الزمن الذي عزل فيه السلطان عبد الحميد رحمه الله – حيث تكاتفت قوى

كبيرة ومؤثرة على عزله لأن عزله كان اللبنة الأولى في إقامة دولة إسرائيل [46] ولم تتوقف السلطة التركية عند السياسي بل اتخذت من الدين وسيلة لتنفيذ مرادها في البلاد كسلطة قائمة على إقامة الحكم الديني والإسلامي على وجه الخصوص.

أما النمط الثاني فهو السلطة الدينية والتي تتمثل بشكل خاص في رجال الدين المسيحي الموكل إليهم متابعة أمور الكنائس والطوائف المسيحية المختلفة.

2.1 رؤية السلطة السياسية للمقدس

تمثلت السلطة السياسية في الرواية (ترانيم الغواية) بالحكم التركي للبلاد العربية، الذي تمثل بحكم العسكر وجمعية الاتحاد والترقي التي لا تخلو من اليهودية المؤثرة فيها بعد الانقلاب على السلطان عبدالحميد الثاني، ولم يعد المقدس أو الدين بالنسبة للأتراك سوى القناع الذي يحكمون فيه العرب باسم الخلافة الإسلامية، أما في واقع الحال فقد تمثل الأمر في المقولة التي تنقلها ميلادة أبو نجمة على لسان أبيها " السياسة فوق الدين في علاقة الدول" (الروايةص129) وتمثلت هذه في أكثر من موقف في الرواية، مثل الاحتفال العظيم الذي أقامه الحاكم العسكري التركي للإمبراطور الألماني (فيلهلم الثاني) فاختلطت موسيقى الجيش وأجراس الكنائس وترانيم الكشافة وقدم حاكم القدس التركي تعظيم سلام، فلم تعرف القدس مثل هذا الاحتفال طيلة أربعة قرون من الحكم العثماني، ورد الإمبراطور على بطريرك الأرثوذكس المتكلم نيابة عن الطوائف المسيحية – بقوله جئت بيت المقدس حاجاً لا محتجاً، والأصدقاء الأتراك أدرى بشؤون خلافتهم (الروايةص20/18)وكذلك رصف الأتراك الطريق أمام قيصر النمسا (الروايةص166/165)فقد تناسى الأتراك الخلاف الديني والموقف العدائي مع هؤلاء الحكام عند ظهور المصلحة، وقد اتضح هذا جلياً في الرواية على لسان ميلادة في قولها "الفرنج ومثلهم الأتراك فصّلوا الدين على مقياس مصلحتهم السياسية.. هذا ما ظل يقوله السفاح التركي عند عشيقته اليهودية كل ليلة" (الروايةص122).

فلم يكن هذا الأمر خافياً على العامة، فتصف الرواية الأتراك بأنهم "مسلمون في النهار وفي الليل هز وفقش ومسخرة...(الروايةص122) لا بل أنهم سبب خراب البلاد ومجلبة لغضب الخالق وعذابه "... وزعل الله على القدس.. رماها بغضب وراء غضب..." (الروايةص122) فالحاكم التركي يقيم حكمه من خلال التستر خلف الدين واتخاذه قناعاً، في حين يخترق الدين والمقدس في الخفاء ولا يقيم له وزناً "فثقافة السلطة قائمة على الاستعباد والاسترقاق؛ تعمل على تحويل هذه القابلية إلى علاقات قوة وهيمنة، بقوة العادة" [47].

ويتضح مثل هذا أيضاً في مقابلة بين سالم أبو نجمة وجمال باشا الحاكم التركي في بيت عشيقته اليهودية (سارة أرنون) حيث يركل جمال باشا أبو نجمة ببسطاره العسكري عندما طلب منه إعادة المرج المسلوب (وحالة سالم تصعب على الكافر) قائلاً له ".. أم نعادي الحكومة الفرنساوية، ورهبانهم.. من أجل من؟ فلاحين جهلة

ومرج صغير.." (الروايةص69/67) وفي الحوار الذي يدور بين البطاركة المسيحيين العرب والبطريرك اليوناني ذيميانوس يتكشف تسخير القدس من أجل المصلحة والمادة، يقول ذيميانوس "لكنكم والأتراك حولتهم القيامة إلى سياحة، وضعتم جابياً على الباب لا يدخل سائح إلا برسوم، فأضعتم هيبة أقدس الكنائس.. رسوم على زيارة بيت الله.." (الروايةص233).

وكذلك ظهر تقديم المصلحة على المقدس في المساهمة في تهويد القدس والسعي لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين من خلال الوفود التركية للمحافل الدولية "معظم الوفود العثمانية إلى محافل الدول ومؤتمراتها، لا حديث لها غير قضية اليهود.. وفود تركية رسمية تستذكر معاناتهم منذ السبي العظيم إلى بابل استدراراً للعطف.. وتمعن في تصوير شتات شعبهم وتمجد لغتهم وديانتهم.. لهذا قال جاك روتشيلد، أحد زعمائهم: أسس اليهود وطناً قومياً لهم في تركيا، قبل أن يقيموه في فلسطين!! ... هل سمعت عن الدونمة؟ جماعة تركية ظاهرها الإسلام، وباطنها اليهودية..." (الروايةص244).

وقد ينكشف توظيف المقدس في مصلحة السياسة، عندما يطلق الأتراك ما يسمى بـــ(الجهاد المقدس) فقد صدر "بفرمان سلطاني انطلق النفير العسكري: يجند عموم الذكور الأبكار من تابعي الخلافة في جميع الأمصار للجهاد المقدس دفاعاً عن سيادة الخلافة ولخوض الحرب إلى جانب حلفائنا دول المحور، ويجند كل مسلم بلغ الثامنة عشرة...ويعدم كل من يتخلف عن واجبه" (الروايةص90/89) وهنا نجد المقولة المباشرة لهذه الحالة بين المقدس والسياسة – ينقلها متري في حديثه لابنه "هي السياسة يا رفيق تلبس مسوح الدين" (الروايةص239).

كما وظفت السلطة السياسية الخرافة في سبيل السيطرة على المقدس وتسخيره في مصلحتهم كإغلاق باب الرحمة وباب التوبة بالحجارة إلى الأبد حتى لا تتحقق (نبوءة عودة الفرنجة إلى بيت المقدس منها) وكذلك فتح باب واسع في السور جانب الخليل الذي افتدته الخرافة التركية من الذبح، بدخول الإمبراطور الألماني منه (الروايةص17/16)وكذلك أسطورة المرسوم التركي الخط الهيموني جالب الحظ والمكانة العَلية (الروايةص130).

2.2 رؤية السلطة الدينية للمقدس

تمثلت السلطة الدينية بصورة أكثر وضوحاً لدى أتباع المسيحية، حيث رجال الدين القائمين على أمر الطوائف والكنائس وتنفيذ التعاليم الدينية، ولم تكن هذه السلطة أقل من سابقتها في اختراق المقدس والتابوهات –المحرمات – وكذلك في تسخير المقدس في سبيل إنفاذ مصالحهم الذاتية، سواء الأشخاص أو المؤسسات والدول.

فقد شغلت قضية تَنَقُّذ اليونان في الطائفة المسيحية ويسلطهمعلى الخورة والكهنة والبطريركية عقول هذه الطائفة، ويظهر الضجر منها حتى لحظات اللّاوعي.. ففي حديث ميلادة أبو نجمة، عن والدها وما كان يقدم لضيوفه تسترسل قائلة "... كثيرات تزوجن من شباب الطائفة.. يعني اليونان حكمونا من الكنائس وغرف النوم"

(الروايةص133) وكذلك الأمر بين الطوائف المسيحية نفسها "..راحت أيام العز يوم كان البطاركة عرباً، فحرّموا على الكاثوليك أن يلبسوا مثلهم، أو يدخلوا بيوتهم، ولا يدفنوا أمواتهم إلا بإذنهم"(الروايةص130) .

ولا يخلو الوصول لهذه المراكز من الدسائس والمؤامرات والمحسوبيات، من ذلك تنصيب ذيميانوس بطريركاً على الكنيسة المقدسة الأوروشلمية في فلسطين وشرق الأردن "... انشغل جدك بوصول ذيميانوس (اليوناني) إلى كرسي البطريرك.. عمل كثير، ودسائس أكثر، وليسامحني الرب.. كان جدّك عينه السّرية وأذنه بين رهبان أخوية القبر المقدس، والسنودس (مَجْمَعٌ كَنَسِي) المكلفين بانتخاب البطريرك، وبأصواتهم وحدها.. إن عرفت ما يظنه الآخرون، تصير قائداً عسكرياً أطلَّ على أرض العدو وكشف تحصيناتها، وحددطريقه إلى ضعفهم.. وجدك كشف لذيميانوس خطط وأقوال الآخرين.. وتقرب إلى رافضيه، وطمأن شكوكهم وتزلف بالوعود.. فظفر بالكرسي بإجماع الرهبان، وتعززت مكانته بين الطائفة.. والتكليف بترتيب مراسم التنصيب مكافأة ذيميانوس لجدك... احتفال باذخ كلف كثيراً، كبرنا بعده مالاً وجاهاً" (الروايةص207) ومن ثم تصبح الرشوة الطريق إلى المنصب الأدنى من ذلك "بعد عودتي بشهادة اللاهوت تبرَّع جدّك للكنيسة بمائة ليرة عثمانية.. قال: المال يشتري الجاه والسلطة، ولا بدّ من مكانة بين عائلات القدس، ما دمنا نعيش معهم" (الروايةص208)ومن ثم انحصرت هذه المكانة – البطريرك العام لكنائس الأرثوذكس باليونان فالطريق إلى " مرتبة كهذه مغروس بالتناحر والدسائس، وأنها مكانة محرمة حتى على أحلام عربي مثلي" (الروايةص209).

وتأسيساً على ما تقدم يتجلّى الخلاف والتنافس بين اليونان والعرب المسيحيين على إدارة أمِّ الكنائس والطوائف – المقدس – وكذلك يتكشف أن هذا الأمر كان يسير على وجهين؛ وجه ظاهر جليٌّ والآخر خفي، يقول الخوري متري حداد؛ في كشفه عن هذا النزاع القاتل، والاحتجاج العربي والرفض اليوناني أنّهما زلزلا مقر البطريركية: "ظاهر اختلافنا جوهر الدين، وتباين الاجتهاد في تفسيره، وحقيقته خوف اليونان على المكاسب ونفوذهم" (الروايةص231).

ولذا حرص البطاركة اليونان على إيجاد الوسائل التي تمنع العرب من الدخول في المنافسة على إدارة المقدس، منها زواج الكهنة؛ فمن يتزوج لا يسمح له بالترقية إلى المناصب العليا في سلم الكهنوت، يقول والد الخوري متري حداد مخاطباً ابنه "... فاليونان سيجبرونك على الزواج لمنعك من ترقية تشترط العزوبية" (الروايةص168).

ولما كان أمر الترقيات والمناصب كذلك، فلا شك في تداخل المصالح الذاتية والمنافع الشخصية المتأتية بعدها، تشير الرواية إلى بعضها، فالبطريرك اليوناني ذيميانوس يزوج ابنته لشاب يعزف آلة موسيقية، ويبدو اختراق المقدس في هذا الزواج من جانبين؛ الجانب الأول يكمن في الزوج الذي اختاره لابنته، والذي يتوجب فيه أن يكون على درجة من الالتزام الديني يناسب مكانة بطريرك الكنيسة الأرثذوكسية في فلسطين عامة وشرق

الأردن ولكننا نجده يتصف بصفات تخالف تعاليم الكنيسة فهو "معروف بترتيب السهرات وليالي الأنس لكبار المسلمين والمسيحيين، ويتعهد حفلاتهم ويخدم عشيقاتهم" (الروايةص268) أما الجانب الآخر فيتمثل في الاعتداء على أملاك الكنيسة حيث "منحها بيتاً واسعاً من أوقاف الكنيسة، ... فزاد خيال الناس جموحاً وفحشاً" (الروايةص268)أما الحقل الآخر في رؤية السلطة الدينية للمقدس فيتمثل في درجة الثقة القائمة بين رجل الدين والمقدس، فهي هشة، اعتادوا خرقها وتجاوزها، وقد تمثل ذلك في الرواية في العلاقة القائمة بين الخوري متري الحداد – الخوري الأرمل – وميلادة أبو نجمة، ويبدو أن هذه الحالة هي القصة الرئيسة في الرواية تسرد متقطعة على صفحات كثيرة ومتغايرة بين دفتي الرواية، يصف الخوري متري حداد هذه القصة بقوله "... منذ رأيتها، أدركت في التو واللحظة، أن شيطاناً يسحبني إلى تجربة عظيمة.. يقف بي على حافة هاوية ملوحاً بالغواية، كما وقف إبليس بمخلصنا على قمة جبل قرنطل في أعظم تجربة إغواء إنسانية" (الروايةص150).

يبدو هذا الربط وإن جاء وصفاً صريحاً لحادثة، ولكنه لا يخلو من تهويل للحادثة الآتية وفي ذات الوقت؛ فإن تقديمه أقرب ما يكون مسوغاً للشروع في التجربة أو الخرق للمقدس.

ومما يدل على تعظيمه له وصفه في مكان آخر بقوله "... ويعرف الله أن أجمل الحب عشق محرم.. دونه قسوة العالم وقوانينه" (الروايةص151) والعبارة الأخيرة تجعلنا نتساءل عن القوانين التي حرمت هذا الحب، أهي وضعية من البشر أم من تعاليم المقدس – الكنيسة –؟ وكذلك ماذا قصد بالعالم؟ أهو الوضع الدنيوي وقوانين الدنيا؟ أم تعاليم الله؟ وبما أنه رجل دين وقائم على شؤون الكنيسة وتنفيذ تعاليمها، فما هي رؤيته لهذه التعاليم، وصدق صدورها عن الرب جلَّ في علاه؟! نعود لقوله ".. منذ رأيتها، أدركت للتو واللحظة..." نتساءل أين كان هذا اللقاء؟ جاء في اللحظة (الزمن) الذي يعقد فيه قران هذه المرأة – ميلادة أبو نجمة – على زوجها– عوض – أي أنها قد دخلت في ذمة رجل، والجانب الآخر أن مكان هذا الحدث هو الكنيسة، لابل في مرتكز القداسة فيها (المحراب) يقول الخوري متري في وصف ذلك الموقف ".. وزعزع إيماني لحظة أمسكت يد زوجها لأدور بهما حول المحراب وأعلنهما زوجاً وزوجة" (الروايةص168)وكما قدم للوصف السابق، يقدم لهذا الموقف بقوله "... تسكن الشياطين مع الملائكة في صوامع النساك تنتهك مغارات تعبدهم... وأسلحتها شك يقود إلى معصية.. فأي إغواء زلزل روحي..." (الروايةص167) وهنا نلتقط لفظة (شك) فأي شك يتحدث عنه رجل الدين؛ شك في صحة المقدس وتعاليمه أم شك في مقدرته على مسايرة ما ألزم به نفسه من تعاليم وواجبات؟!!.

وفي موقع آخر من الرواية يصور الموقف نفسه، ولكنه في هذا التصوير يعترف بمخالفة التعاليم وخرق المقدس، وارتكاب المعصية، يقول "منذ رأيتها أمام المذبح، ارتكبت المعصية في التو واللحظة، خالفت واحدة من الوصايا العشر، اشتهيت امرأة قريبي في قلبي، وارتجفت أعماقي كما لا يليق بخادم الرب..." (الروايةص146).

وذات الموقف تُقرأ الصورة في مرآة المرأة ميلادة أبو نجمة، تصف الخوري متري الحداد في تلك الحادثة، قائلة ".. حين أمسك يد عوض لندور حول الهيكل وينشد (بالمجد والكرامة كلّلهما) لمعت في عينه نظرة لم أفهمها... ولم ينزل عينه عني.. ارتبكت.. نظراته غريبة هزتني.. سحبتني من عوض ومن الصلاة، ومن الناس، ومن حالي.." (الروايةص187).

كل هذا الخرق للمقدس كان خفياً على الناس، لا يعلمه منهم إلا الخوري متري، وميلادة على غير يقين، ولكن الصورة تتبلور بعد موت عوض، تكشّف أمر هذا الحب المخالف لتعاليم الكنيسة "... سألني إن كنت أقبل أن أتزوجه.. صحت.. كيف وأنت أبونا وأرمل؟... قال بركة البطريرك ولن نغضب الله .." (الروايةص188) يبدو أن البطريرك يتجاوز تعاليم المقدس الأول – الله – في رؤية السلطة الدينية المسيحية – على مستوى النص – ولذلك تحاول الكنيسة إيجاد مخرج لهذا الموقف "ولأن قوانين الكنيسة لا تجيز زواج كاهن أرمل، وظروفنا لا تسمح بإخراجك من الكهنوت.. فنحن محكومون بأهون الشرّين، فاجتمع رأينا على أنه رغم قداسة آباء الكنيسة... ويشهد الله أن هدفنا من زلة عظيمة كهذه منع فضيحة جديدة تطال كهنوتنا، وأن محبتي لكنيستي هي الدافع الوحيد لارتكاب ذنب عظيم كهذا" (الروايةص155/156).

يعقد الزواج في بيت ذيميانوس كبير كنائس الأرثوذكس وهو بين ثلاثة حلول لحالة الخوري، الأولى أن تعاليم الكنيسة لا تسمح بزواج الخوري الأرمل والحالة الثانية هو خروج الخوري من خدمة الكهنوت أما الحالة الثالثة فتتمثل في عدم عقد الزواج،ولما استُبْعِدَ الحالان الأول والأخير بقي الحل الثاني وهو خروج الخوري من الكهنوت ليتم عقد القران وهنا تبرز مقولة ذيميانوس: (ظروفنا لا تسمح بإخراجك من الكهنوت.. منع فضيحة جديدة تطال كهنوتنا) وقول آخر: "فضيحة خروج كاهن آخر ليتزوج" (الروايةص154)فثمة تكرار لهذا الخرق للمقدس، فقد سبق (أشيل) أحد كبار الكهنوت عندما وقع في عشق صونيا ابنة أحد كبار تجار الذهب اليونان (الروايةص152).

ومن هنا يمكن القول بأن الخرق جاء مركباً، الأول في أن الخوري يخالف التعاليم التي يرعاها في المقدس (الكنيسة) وذلك بزواجه مع أنه أرمل سيراً وراء شهوته "فشعائر التطهير هي بالدرجة الأولى ممارسات سلبية تصنّف في خانة الإمساك والامتناع، إنها تتمثل في الإعراض عن كل ما يميز الوضع الدنيوي من نشاطات مهما تكن هذه النشاطات طبيعية أو مهما بدت ضرورية للحفاظ على الحياة" [48] والأمر الآخر أن تكون السلطة الدينية الأعلى في البلاد تداري على خرق المقدس، تباركه على أن يكون في السر خشية الفضيحة التي تطال الطائفة والكنيسة (الروايةص152) ومن ثم كان المقدّس وخرقه أمراً يمكن تجاوزه ومن هنا جاءت مقولة الخوري متري الحداد "القدس أضاعتنا لأنها تشبهنا، مدينة مثلنا بوجهين... دروبها العتيقة تصل أبواب الخلاص... تنشد الغفران في الكنائس وأديرة ومعابد وزوايا ومساجد وكنيس وتكايا.. وتفتح أبواب أسوارها على الملذات تقود إلى الضلال" (الروايةص157).

3. الرؤية الشعبية للمقدس

ربما تميزت الرؤية الشعبية في أنها أقرب للصراحة والمجابهة والعفوية، فلا ترى فيها مراوغة، أو تزلفاً فهي أكثر صدقاً وإخلاصاً للمقدس والمعتقد، وتنبع هذه الرؤية من الحياة المعيشة، وتعتمد في غالبها على الموروث الفكري في العائلات والطوائف والأحياء بعيداً عن التعلم والشهادات والمدارس، وربما وجدت من المتعلمين من يعتقد بمعتقدات العامة ويدافع عنها.

ومما يعتقده العامة وقد صاغوه مثال قولهم " مال الوقف بهدّ السقف" (الروايةص163) يطرحه الخوري الحداد في حواره مع ابنه ليتبعه قوله فهل أدفع –أنت وأنا –ثمن ما اقترفه جدك مع ذيميانوس ومدير مال القدس؟ وعند استقراء المثل السالف الذكر، نتوقف مع الجزء الأول (مال الوقف) فما المقصود بمال الوقف، إنه المال المخصص بالدرجة الأولى للمقدس ..المسجد الكنيسة.. بيوت الله فهو مال مقدس لا يجوز السرقة والاختلاس ولا حتى الاقتراب منه، وقد لا يتوقف عند هذا المال فقط، فقد يلحق به مال الأيتام، فهو كذلك على درجة من القداسة، ولذلك أدرك الضاوي أنه اخترق المقدس بأكله مال الأيتام الثلاثة (ميلادة وإبراهيم وحبيب) أبناء أخته بعد وفاتها، ولعل أشد اللحظات هذه كانت على ميلادة التي تفرح بهدية والدها.. ورغم معرفتها أن ما أرسله والدها كان يكفي لنفقات زفاف كبير، فقد كان قهرها وكسرة خاطرها بين البنات أكبر من غفران أو سماح لخال طماع.. ومن هنا جاء عتاب الضاوي للرب: "نَفَرٌ قليل من العائلة سمع الضاوي يوم وفاة ابنه عوض، يلطم خديه ويبكي وحيده، ثم يعاتب الله على معاقبة ولده بجريرته، ويطلب المغفرة" (الروايةص106) وعلى مثل هذا ينطبق قول كايوا في تعريفه للمقدس: "أما المقدس فيتمتع بقدرة جذب سحرية، قمة الإغراء هو، وأقصى درجات الخطر، مرغوب يستحدث الراغب على الجرأة والإقدام، ومرهوب بمن يحاذيه إلى الروية والحذر" [49] ولذا فإن الضاوي أسند ما لحقه من أذى ابنه بجريرته، وكذا المثل المتداول في الرواية "مال الوقف يهد السقف" (الروايةص163).

وكذلك ترى القداسة في القائمين على الكنيسة، فقد تجنبت بعض النساء الخوض في قصة الخوري متري الحداد وميلادة أبو نجمة، مشيرة إلى تلك المعصية صراحة: "فالنميمة عمن يمثل الكنيسة معصية... وفي الحياة من الحكايا ما يغني عن قصة قد تغضب الرب" (الروايةص54)

وفي ذات الوقت فإن السلطة الاجتماعية لاحظَّ لها من القداسة، وقد تنالها الألسن دون ورع؛ "... وما شاء الله على المختار لم يعرف الشرف إلا على كبر، بعدما أجَّر داره لكامل النشاشيبي وصاحبته اليهودية... ولم يسمع أحد صوته يوم فتحت النيرس اليونانية الدار الحمراء للهمالة ومن أعطاها لها رئيس الدير المسكوبي لأنها تحسس عليه وتقول للعلاج!!.." (الروايةص128) وكذلك ترى أن المصالح الاقتصادية قد تطغى على المقدس أحياناً، فإحدى العجائز تتحدث عن عين كارم، قائلة "مصلحة العباد تسبق مصلحة السماء!!.. صحيح عين كارم مقدسة، وستنا مريم شربت من نبعها، وفيها بشّر الملاكُ زكريا بولادة ابنه يُوحَنَّا المَعمَدان.. لكن البلدة عاشت على توفير

طلبات المصيفين، أبو عرب فتح قهوة (عرب) على نبع العذراء وقال: يوم لك ويوم لربك..." (الروايةص129/128).

وقد يلجأ الإنسان إلى توظيف المقدس – ولو كذباً – في سبيل لقمة العيش، مثلما حدث مع ابنَيْ سالم أبو نجمة في (سانتياغو) فقد رَوَيا الحدث بقولهم: "... ولولا صلبان الصدف وخشب الزيتون التي حملناها من البلاد لمتنا جوعاً، بعناها على أبواب الكنائس في أيام الآحاد والأعياد.. كتبنا على زجاجة زيت زيتون صغيرة (من القناديل حول قبر المسيح).. وماء الحنفيات صار من الشريعة والمغطس.. وتراب أمريكا من الأرض المقدسة... كل يوم أحد كنا نكذب على الله ثم الناس" (الروايةص102) ومثله أيضاً استغلال جهل الحجاج الروس (المسكوب) وبيعهم الزعتر على أنه مقدس ويشفي من الأمراض لأنه من البلاد المقدسة؛ من جبال القدس(الروايةص170).

وقريب من ذلك تلحظ البون الشاسع بين الخفاء والتجلي في قضية القدس عند العامة، وهي قريبة مما تكشف عند رجال الدين، فاستغرب سالم أبو نجمة من شأن صاحب المصنع الكوبي الذي أعجب بسالم وقرّبه؛ ... كثيراً ما سأل سالم عن البلاد المقدسة والكنائس والآثار التي وردت في الإنجيل والتوراة... ولكن ما حيّر سالم هو "امتزاج ذاك التديُّن بقسوة القلب، فالكوبي وهو لا يفوِّت قدّاساً، وتسبق صلاة الشكر أي لقمة إلى فمه، يملك الأرض وما عليها، ولا حقوق للعمال.. يسوطهم لأية هفوة بينما صليب الذهب يزين صدره، ويطوق عنقه" (الروايةص88).

2 استمرارية الحياة من خلال الإنجاب وعلاقة ذلك بالمقدس

تجسدت هذه الفرضية في رواية ترانيم الغواية – من خلال قصة فتاتين؛ إحداهما مسلمة (زهرة) والأخرى مسيحية (ميلادة) والعامل المشترك بينهما عدم الإنجاب، ولما كانت مسؤولية الإنجاب تقع على عاتق المرأة، فإنها تحمل همه دون الرجل "فتصير حياتها كلها أن تثبت بأنها لا تقل عن الأخريات... فتتعربش بالسماوات والأنبياء وتحتار بين الأطباء والدايات والسحرة..." (الروايةص115) ومنذ هذه النقطة تتداخل المقدسات في سبيل الوصول إلى المقدس الأول – الله –لتحصيل الخلفة.. فاللقاء الأول يكون عند المقدس المسيحي ترويه (زهرة) المسلمة "... التقينا على درج ستنا مريم... لا تتسحب المرأة إلى الأنبياء في غفلة عمن حولها إلا إذا عجزوا عن فهم أحزانها... مررت بخيام النصارى بين أشجار الزيتون.. في هدوء النوم قلت ستنا مريم أكرم نساء الأرض، خصها الله بسورة في القرآن دون نساء العالمين وكرمها بنفخة من روحه.. نصف العالم يؤمن ببركتها، ويتحدثون عن عجائبها، ويأتون ليصوموا في رحاب قبرها.. والنصارى أهل كتاب رغم الطبل والزمر يسلّون به صيامهم، وهي امرأة مثلنا، وجربت قسوة الناس وظلمهم والنفوس ترمي أثقالها في بيوت الله، وعند أنبيائه تلتقي أحلام البشر وأحزانهم... هبطت بخوفي الدرج الطويل إلى وادي قدرون.. صعقني الرعب وتجمدت، وخطوات مترددة تتسحب خلفي وتقترب، جاهدْتُ واستَدَرْتُ؛صبية تغطي رأسها بمنديل تنزل الدرج مثلي.. قَويت كلٌ بالأخرى ومع

صمتنا أكملنا النزول، على ضوء بقايا الشموع ركعنا متباعدتين.. جفلت بخوفي ويدها تلامس كتفي... ووجها غارق بالدمع مثلي.. قالت أنا ميلادة أبو نجمة.. تعارفنا.. تتلقف أحضان الأنبياء ما يعذب البشر فوق برودة الدرج بكينا، وتبادلنا القصص.. تضن الأحشاء بالخصوبة فتتوحد عذابات النساء وفي دهشتي طَلَبَتْ أن تزورَ الحرم... ومن يَرُدُّ سائلاً عن بيت الله؟!.. قلت للسماء سبعة أبواب، وإذا لم تسمع استغاثة المحروم من باب دق باباً آخر.. وميلادة دمها خفيف وذكية أحضرت لها تنورة طويلة وحجاباً، وأمام الصخرة تمتمت بصلاتها.. ومثل مسلمة بكت وخشعت طفنا بالحرم... وعند خلوة سلفنا الأكبر جلسنا" (الروايةص224/222) وقد وردت القصة مقطعة موزعة في صفحات متغايرة من الرواية، وقد تروي أحداثاً وقعت مع إحدى الفتاتين من ذلك ما تتحدث به ميلادة على لسان أم زوجها الأول عوض... "جئنا لزيارة الشيخ المراكشي لعمل حجاب يفك نحس عدم الحمل، قالت: ما دامت الداية اليهودية أكدت أن لا عيب فيكِ يبقى حجاب يفك النحس أرخص من الدكاترة، والمراكشي مصيِّت، أشهر مُبَصِّر وكاتب أحجبة في القدس كلها.. والمغاربة يتوارثون السحر أباً عن جد.. وفي دارهم أمم" (الروايةص125) وفي موقع آخر تروي ميلادة القصة للكاتبة "وبعد تصويرها وهي تدخل الحرم – الأقصى – لم تبق كنيسة ولا جامع إلا زارته.. ولا مُبَصِّر ولا قارئة بخت أو فنجان.. لا في حارة المغاربة ولا حارة اليهود... وصفوا لها بلاوي زرقاء والبنت تطيع.." (الروايةص139) "وأنا وزهرة التقينا على درج ستنا مريم، وبعدها في الحرم... يعني تباركت من مسيحي ومسلم.." (الروايةص143)

من خلال ما سبق تتبدى لنا قضية الإنجاب، كمرتكز مفصلي في رؤية العامة للمقدس فإن "يكن ثمة شيء يرجو منه المؤمن كل عون وتوفيق فهو المقدس، إن الاحترام الذي يكنه له مزيج من الرعب والثقة" [50] ولما كانت الحاجة بَلِ اللهفة في هذا المطلب الدنيوي وعجز الإنسان عن تحقيقه، فإنه لجأ لكل ما يعتقد في قدسيته، حتى وإن تضاربت هذه المقدسات، فتداخلت الأديان السماوية مع السحر والشعوذة والموروث والأسْطَرَة، في سبيل الوصول إلى تحقيق مآربه، ويبقى الباب مفتوحاً "لصراع المقدس والإنسي، في مدينة منذورة لله منذ كانت" (الروايةص293)مع أنها وسعت كل الملل "وكل من يعيش فيها يعتقد أن الله سيحميه فيبقى" (الروايةص178)وقد " تلفعت أسوار تاريخها وغلفتها القداسة" (الروايةص173).

الخاتمة

تكمن خطورة هذا الدرس، ليس فقط في تحديد مفهوم المقدس لدى الباحث أو الباحثين في مراجع ومصادر الدراسة، وإنما أيضاً في تحديد المقدس وماهيته عند الشخوص في الرواية قيد الدرس، وعلى الرغم من ذلك فقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج تمثلت فيما يأتي:

3 أن المكان الذي اتخذته الكاتبة لروايتها والمتمثل في مدينة القدس، قد امتاز بالقداسة عند أتباع الديانات السماوية الثلاثة (فهي مدينة محكومة بالأديان).

4 أن النزاع الخفي أو الظاهر بين أتباع هذه الديانات عائد أو مرتبط بقداسة المدينة في هذه الديانات وقد أشار نص الرواية صراحة لهذا "الحروب على بلادنا لا تتوقف بحجة أنها مقدسة..." (ص123)

5 أن السلطات اتخذت من المقدس قناعاً في سبيل تحقيق مصالحها الدنيوية.

6 أن الإنسان مع اعتقاده بالمقدس إلا أن هذا الاعتقاد يتمظهر أكثر عند عجزه عن تحقيق حاجاته بذاته وكلما زاد العجز زاد الاقتراب من المقدس واللجوء إليه.

7 أن العامة تتداخل لديهم المقدسات وقد تخالطها الخرافة أو الشعوذة والسحر.

8 تتبدى أحياناً هشاشة الاعتقاد بالمقدس والثقة بفاعليته... "لو أن أبواب السماء مفتوحة دائما كيف امتلأ العالم بالظلم والفقراء والمسخمين مع أنهم أكثر من يصلي ويصوم ويقدم النذور" (ص290).

Abstract

The Sacred in the Novel Temptation Hymns by Laila Al-Atrash

By Ahmad Abdul Rahman Al-Thanayeb

And Al-Harith Ahmed Al-Tanayyibat

This study seeks to stabilise the portrayal of the holy in The Temptation Hymns by establishing a definition of the sacred in the prelude and the three sections of the narrative; the prelude investigates the novel's paradoxical structure to explain the motivation behind the selection. The first section examines the sacred sites of the three monotheistic religions in Jerusalem, while the second examines the political and theological dimensions of power, and the third examines the common perception of Jerusalem.

Research can benefit from earlier studies, such as the book by Youssef Shellhad, "The Sanctuary Before and After Islam," the study of "The Holy and the defiled" by Mercia Iliad, as well as "The Human and the Holy" by Roger Kaiwa, "The Islamic Holy" by Noureddine Zahi, and other studies that are reviewed in the search's main body. The conclusion contains the study's most significant findings. The study used an inductive textual technique in order to tackle this problem.

الهوامش

1) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة: قدس.
2) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار العودة، استابول، تركيا، مادة: قدس
3) لسان العرب، مادة: قدس
4) يوسف شُلْحُد: بنى المقدس عند العرب، قبل الإسلام وبعده، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطابعة، بيروت – لبنان، ط1، 1996م، ص25
5) روجيه كايوا، الإنسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا، مراكز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2010م، ص31
6) المرجع نفسه، ص 31 – 32
7) مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، ترجمة عبدة الهادي عابس المحامي، دار دمشق لطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1988م، ص15
8) المرجع نفسه، ص16
9) نقلاً عن أحمد محمد زغب: في العلاقة بين المقدس والمدنس (www.diwanalarab.com) ص2
10) عبدالناصر سلطان محسن: المفهوم الوجودي للمقدس والمدنس في الإسلام، دراسة تحليلة، ص122 (GJAT\JUNE 2014, www.gjat.my
11) نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 2005م، ص32
12) المرجع نفسه، ص28
13) الحاج الدقميري: مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي AJSP، العدد السابع والعشرون، كانون الثاني، 2021م، ص581، www.ajsp.net
14) ليلى الأطرش: ترانيم الغواية، منشورات الضفاف، بيروت، ط1، 2014م، ص123
15) سامح الرواشدة، منازل الحكاية – دراسة في الرواية العربية، ط1، دار الشروق، عمان، 2006م، ص135
16) ابن حميد رضا: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة فصول، مجلد 51، ع2، 1996م، ص155
17) لسان العرب، مادة رنم، وينظر صحيح البخاري، حديث رقم (6989)
18) عبدالله رضوان: ليلى الأطرش توقع ترانيم الغواية في شومان، جريدة الدستور، 12\ تشرين الثاني\ 2014
19) أحمد أبو مطر: ليلى الأطرش في ترانيم الغواية، تعيد بناء القدس وشعبها روائياً، إيلاف، 9\12\2014م

20) ينظر روجيه كايوا: الإنسان والمقدس، ص39
21) ينظر الرواية الصفحات الآتية (8\ 9*2 / 10*2 \ 13*2 \ 19\ 20\ 29 \ 30\ 31\ 32\ 34* 2\ 35* 4\ 36\ 41\ 42\44 \ 45\ 47* 2\ 52\ 55* 3\ 56\ 57\ 60* 2\ 62* 3\ 64\ 69\ 72\ 74\76 \ 88\ 92\ 93\ 95\ 107\ 111* 2\ 115* 3\ 117* 2\ 118\ 122\ 123\ 124* 3\ 125* 2\ 127\131\ 138\ 141\ 161\ 163* 3\ 165\ 170\ 174\ 175\ 176\ 177\ 178\ 180* 2\ 181\ 182\ 183\ 197* 2\ 198\ 208\ 210\ 212\ 213\ 218\ 223\ 230\ 256\ 260* 2\ 274* 2\ 275* 2\ 276\ 277\ 289
22) أبو اليمن القاضي، مجيد الدين الحنبلي: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، منشورات المكتبة الحيردية، النجف – العراق، ط1، 1966م، ج1، ص8
23) عبد الناصر سلطان محسن وإبراهيم محمد زين: مفهوم المقدس والمدنس عند ميرسيا إلياد، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، إسلامية المعرفة، العدد 79 شتاء 2015م، ص 153
24) الحاج القدميري: مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، ص588
25) المرجع نفسه، الصفحة نفسها
26) نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص32
27) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية 1
28) الحاج القدميري: مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، ص586
29) صحيح مسلم، ص 1397، وصحيح بخاري، ص1189
30) في حديث أبي الدرداء وجابر رضي الله عنهما، وأخرجه البيهقي في السنن الصغرى رقم (1821) وصححه الألباني في الصحيح الجامع (4211)
31) الحاج القدميري: مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، ص 588
32) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية (35){إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} أي خالصاً لعبادتك، وحبسته على خدمة قدسك في الكنيسة.
33) ينظر www.archinform.net/projekte/1320
34) مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، ص48
35) ينظر الشبكة العنكبوتية، www.palestineremembered.com
36) مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، ص48
37) غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان، ط1، 1994م، ص83
38) مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، ص 38
39) المرجع نفسه، ص 38 –40
40) غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص86
41) المرجع نفسه، ص 87
42) المرجع نفسه، ص 69
43) المرجع فنسه، ص 69
44) حسين عبدالعزيز: فوكو ومعنى السلطة والسياسة، الشبكة العنكبوتية www.arabi21.com
45) نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي، ص22
46) أسعد بيوض التميمي: الغيب في المعركة والتغيير الكوني، noor-book.com/pdf، ص84
47) شريف الدين بن ندبة: الثقافة والمقدس بين عِلّية التأسيس وأفق التحرر، مجلة الذوات، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ع59، ص1، www.mominoun.com
48) روجيه كايوا: الإنسان والمقدس، ص61
49) المرجع نفسه، ص 39 – 40
50) المرجع نفسه، ص39